

أسباب المرض النفسي واضطراب السلوك

د.ثائر حيدر

أستاذ الطب النفسي وعلم النفس السلوكي في
كلية الطب البشري جامعة دمشق

- المرض أو الاضطراب النفسي تعریفا هو خلل يصيب الحالة العقلية للفرد ويؤدي إلى إعاقة في حياته الخاصة وازدياد نسبة المعاناة أو فقد الاستقلالية أو حتى الموت .
- أسباب المرض النفسي واضطراب السلوك متعددة وتختلف حسب المرض النفسي وحسب المريض .

عدد من العوامل
• البيولوجية ،
• النفسية ، والشخصية
• الاجتماعية ، والبيئية

تساهم في حدوث المرض النفسي واضطراب
السلوك .

• ومعظم الاضطرابات النفسية هي نتيجة اجتماع
عدة عوامل وليس عامل واحد .

أولاً. العوامل البيولوجية

- تكون العوامل البيولوجية من أي عامل فизيائي وفيزيولوجي يمكن أن يؤثر على الحالة العقلية للفرد . هذا يشمل :
 - الجينات ،
 - الأذیات خلال الحمل و الولادة ،
 - الانتانات ،
 - التعرض للسموم ،

- رضوض و أذيات الدماغ ،
- خلل في البنية التشريحية للدماغ ،
- سوء استعمال بعض المواد ،
- الخلل الكيميائي في النواقل العصبية الدماغية .

- من أجل فهم العوامل البيولوجية وأهميتها لابد من إلقاء نظرة سريعة على علمين أساسيين متعلقين بالسلوك الإنساني :
 - الكيمياء الحيوية
 - الفيزيولوجيا والتشريح

الكييماء الحيوية والسلوك

- ثبت حالياً ومنذ خمسينيات القرن الماضي أن سلوك الإنسان وأضطرابات هذا السلوك هو نتيجة خلل في النواقل العصبية neurotransmitters الموجودة في الدماغ . وهذا الخلل موجود عند الفرد منذ ولادته ويشكل التربة المؤهبة لظهور الاضطراب النفسي لاحقاً .

• يعتبر العصبون أو النورون هو الوحدة الأساسية للنظام العصبي . ويحتوي دماغ الإنسان الملايين من هذه العصbones . والمعلومات الأساسية للسلوك تنتقل داخل وبين العصbones بواسطة مواد كيماوية تسمى النواقل العصبية .

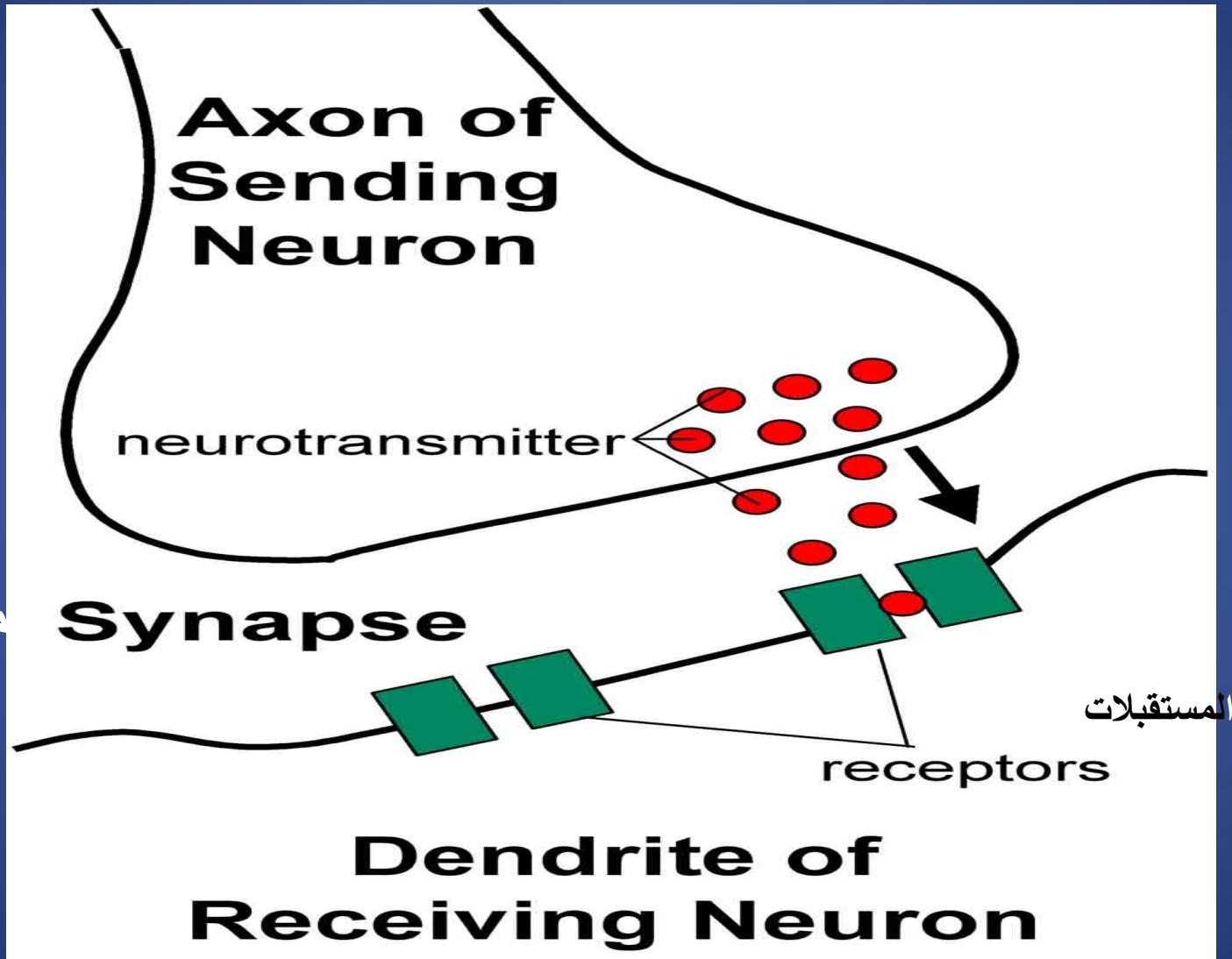
• هذه الوسائل الكيماوية المسمدة نوافل عصبية تتحرر من النورون قبل المسافة المشبكية ل تقوم بالارتباط بمستقبلات خاصة بها في النورون بعد المسافة المشبكية .

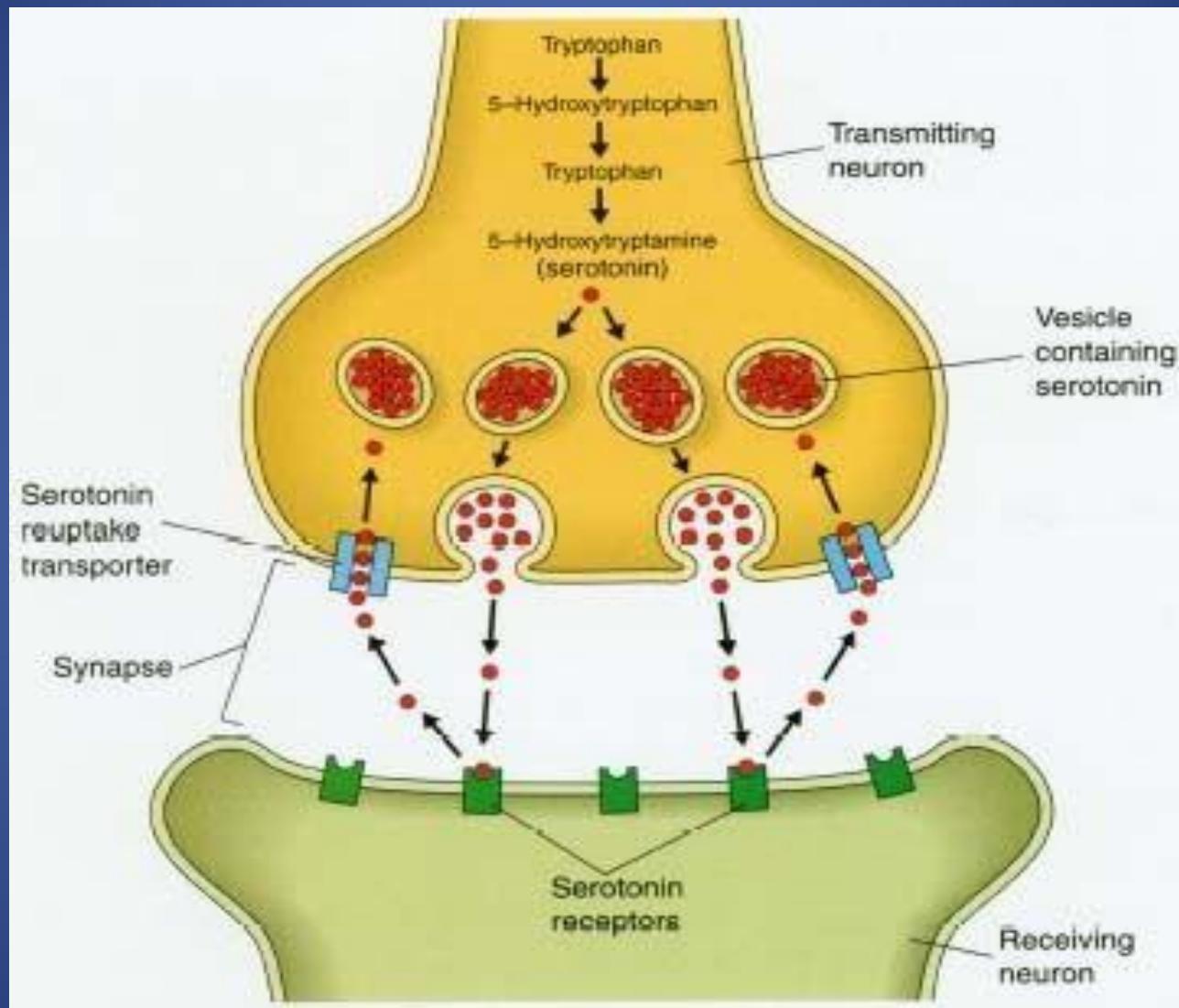
بعد ارتباطها بمستقبلاتها تقوم إما بتنشيط أو تنبيط ذلك النورون .

- النواقل العصبية التي تهمنا في علم السلوك هي التالية :
 - الدوبامين ,
 - النورأدرينالين ,
 - الأدرينالين ,
 - السيروتونين ,
 - الـ GABA •
 - و الغلوتامات .

- الدوبامين مثلاً مسؤول عن تنظيم التفكير والشعور . وزيادته في الدماغ تسبب أمراضا نفسية أهمها الفصام .
- النورأدرينالين مسؤول عن دورة النوم والاستيقاظ والقلق والمزاج .
- السيروتونين مهم في العدوانية والقلق والمزاج وخاصة انخفاضه في الدماغ يسبب الاكتئاب .

مشبك





تشريح و فزيولوجيا السلوك

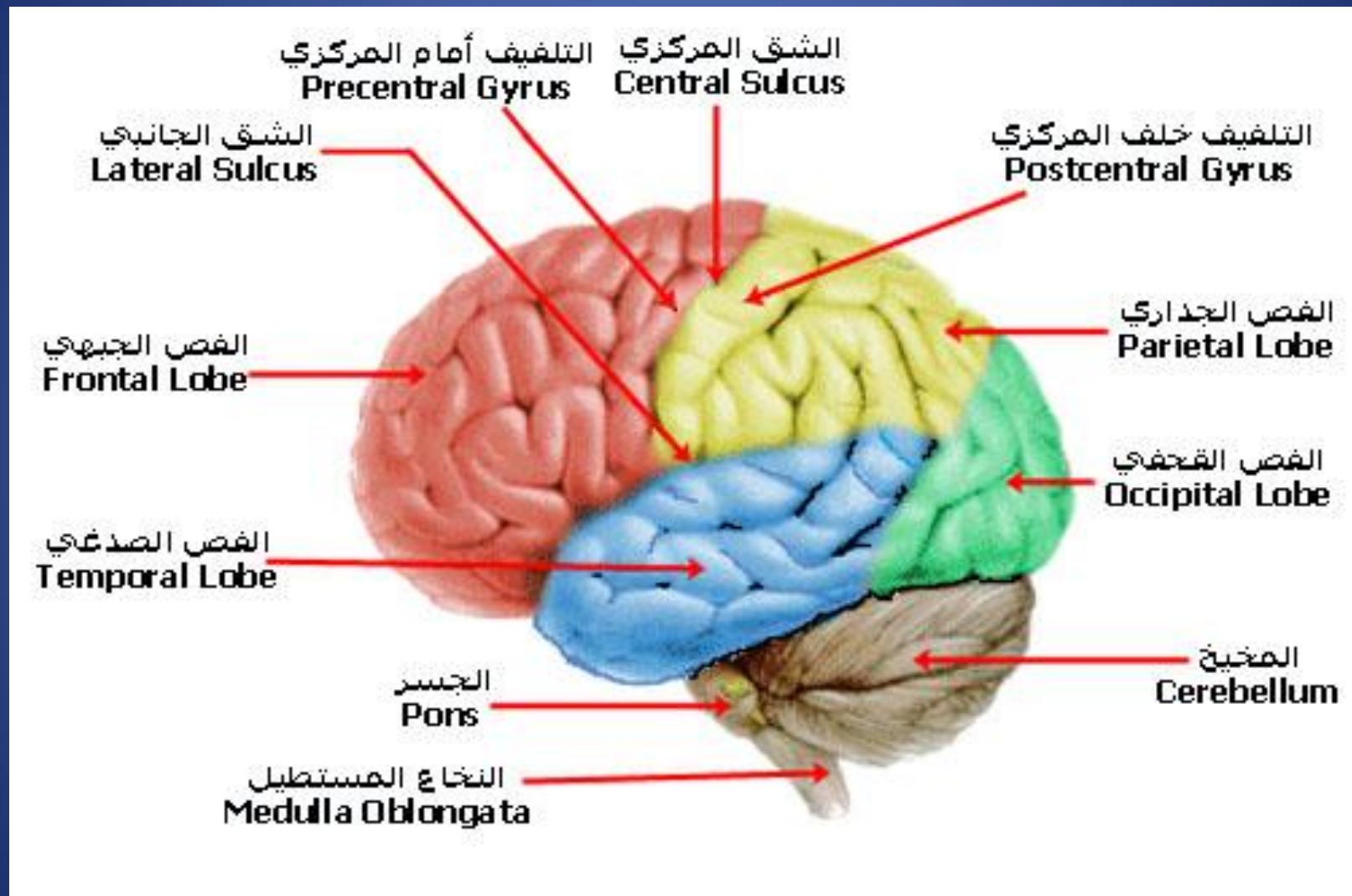
• الفص الجبهي مسؤول عن تنظيم الحركات الإرادية ، التحكم الحركي بالكلام ، بعض الوظائف العقلية الذهنية كالمحاكمة و حل المشاكل والسلوك الاجتماعي .

إصابته تؤدي لاضطرابات في شخصية المريض وسلوكيه كالتصرفات الطفولية والبلادة والغباء والهياج والاندفاعية وصولاً للفصام والاكتئاب .

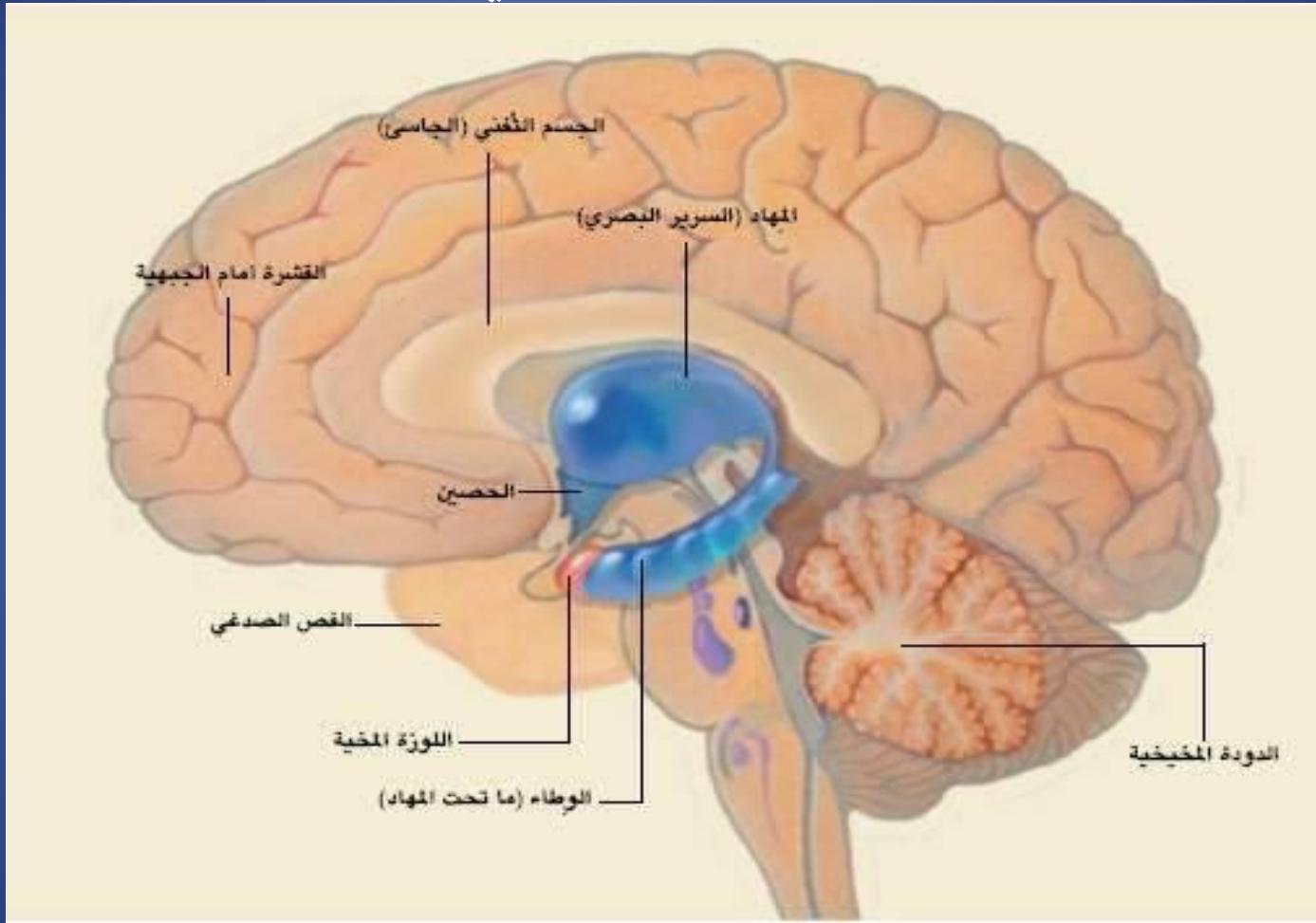
- الفص الصدغي مسؤول عن فهم الكلام والذاكرة والمشاعر والمزاج والتفكير وغيرها.
- الجهاز اللمبي limbic system ويكون من عدة بنى تشريحية أهمها الحصين واللوزة . مسؤول عن مشاعر الخوف والفرح . خلل وظيفته يسبب العنف العدوانية و الأهلاسات .

• لوحظ كذلك ومن خلال طرق تصوير الدماغ الحديثة التي تستند لاستقلاب و أكسجة و استهلاك السكر من التسريح الدماغي اضطرابات في دماغ المرضى النفسيين لا توجد عند الطبيعيين . وستذكرة بعد قليل .

فصوص الدماغ



الجهاز المبى



• بعد الاطلاع على الكيمياء الحيوية والتشريح و
الفيزيولوجيا المتعلقة باضطرابات السلوك نعود
لأسباب البيولوجية :

١. الجينات :

دراسات التوائم والروابط الأسرية دلت على الدور المهم للعوامل الجينية في حدوث المرض النفسي. لكن التحديد الموثوق لجينات محددة مسؤولة يعتبر أمرا صعبا.

• الأبحاث أشارت إلى أن عدداً من الأمراض النفسية هي متعددة جينات polygenic بمعنى أن عدة جينات مسؤولة عن حدوثها وليس جين واحد.

• دراسة حديثة نشرت في الـ 2013 أكدت على تشارك خمس أمراض نفسية في وجود خلل جيني مسبب لها . هذه الأمراض هي الفصام ، ثنائي القطب ، الاكتئاب الجسيم ، التوحد ، اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه ADHD . التغيرات لوحظت في مناطق معينة من الصبغيات 3 و 10 .

2. أذیات الحمل و الولادة : أي أذية يمكن أن تحدث للجنين و الوليد يمكن اعتبارها عاملا مساعدًا على ظهور المرض النفسي : استخدام الحامل للكحول أو المخدرات ، تعرض الحامل لمرض جهازي أو انتانات ، تعرض الحامل لسوء تغذية ،

تعرض الحامل لشدات ورضوض نفسية ،
نقص أكسجة الوليد حول الولادة ،
رضوض رأس الوليد أثناء الولادة ،
الخداج .

3. الانتانات و السوموم : هناك افتراض أن السوموم والانتانات تغير في البنية الكيميائية للدماغ مما يؤدي لمرض نفسي . تم اتهام المكورات العقدية وبعض الفيروسات خاصة ال HIV وبعض الطفيلييات خاصة التوكسوبلاسما . لكن البرهان العلمي القاطع لم يثبت .

4. رضوض وأذیات الدماغ : أي أذى للدماغ ممکن أن يسبب اضطراب نفسي كون الدماغ هو كما نعرف المنظم الرئيسي لكل الجسم .

لُوِّحَظَ ارتفاع معدلات اضطرابات المزاج واضطرابات الشخصية وإدمان المواد وحتى الأمراض الذهانية بعد التعرض لرض دماغي سواء كان رض رأس مفتوح أو مغلق وهو الأشيع طبعاً .

• في كلا الحالتين ، أي الرض المفتوح و المغلق ، الأعراض قد تستمر مع الوقت أو تتحسن . ولكن لوحظ أنه كلما طالت فترة الغياب عن الوعي أو حتى فترة فقد الذاكرة بعد الرض على الرأس كلما كان الإنذار أسوأ .

• من أذیات الدماغ : أورام الدماغ والتي تصنف عادة إما خبيثة أو سلیمة وإما داخلية أي أنها تمیل للارتشاح في النسيج الدماغي أو خارجية أي أنها تنمو على السطح الخارجي للدماغ وتعطي أعراض نتيجة ضغطها النسيج الدماغي . قد تسبب الأورام الدماغية الأعراض التالية :

تخيّط ذهني ، اضطرابات في الذاكرة ، حتى عته . كما أن أورام الفص الجبهي تحديداً تؤدي لاضطرابات سلوك وخلل في التفكير والمحاكمة . لذلك يجب التأكيد على فكرة هامة : أي اضطراب نفسي حديث عند مريض ليس لديه سوابق نفسية يستدعي نفي السبب العضوي و خاصة الورم الدماغي .

5. تغيرات تشريحية دماغية : لوحظ في بعض
الاضطرابات النفسية العقلية كالفصام وثنائي
القطب والاكتئاب الشديد وجود تغيرات في دماغ
المريض ليست موجودة في الشخص الطبيعي .
ويسمى هذا دراسة المرونة العصبية
. neuroplasticity

وهناك تساؤل دائم حول كون هذه التغيرات التشريحية هي سبب لنشوء المرض النفسي أم نتيجة له :

1. توسيع في البطينات الدماغية .
2. نقص حجم الدماغ بشكل عام والحسين hippocampus بشكل خاص .
3. زيادة حجم اللوزة amygdale .

6. الخلل الكيميائي : وهو خلل في النواقل العصبية الموجودة في الدماغ سواء زيادة أو نقصا . النواقل العصبية المتهمة هي الدوبامين ، السيروتونين ، النورأدرينالين ، الـ GABA غاما أمينوبوتيريك . وقد ذكرناها بالتفصيل سابقا .

7. إدمان بعض المواد : ثبتت العلاقة المرضية بين

إدمان بعض المواد وظهور المرض النفسي :

1. إدمان الكحول يؤدي لاكتئاب وخلل في الذاكرة
والتفكير .

2. إدمان القنب ,الحشيش, يؤدي لاكتئاب .

3. إدمان الأمفيتامين والكوكائين يؤدي لاضطراب
ذهاني خاصة الزورانية .

ثانياً. العوامل البيئية و الاجتماعية

- المقصود بالعوامل البيئية و الاجتماعية : كل الشدات و الرضوض النفسية التي يتعرض لها الشخص خلال حياته منذ الطفولة الأولى وحتى الوفاة

١. الرضوض النفسية خلال مرحلة الطفولة :

كل الأحداث الراضة نفسيا التي يتعرض لها الفرد خلال طفولته يمكن أن تنتج اضطرابا نفسيا عند الكبر . القائمة طويلة ولا يمكن حصرها:

- العنف الجسدي ، النفسي ، اللفظي ، الجنسي
- الخلافات العائلية الدائمة
- التنمر
- التمييز بين الأبناء
- الحرمان العاطفي
- الحرمان المادي

- غياب أحد الأبوين لأي سبب سواء سفر أو وفاة أو طلاق ،
- إصابة أحد أفراد الأسرة بمرض نفسي ،
- انعزل الأسرة عن العلاقات الاجتماعية ،
- الدلال الزائد ،
- فرط الحماية ،
- التعرض لعاقة جسدية خلال الطفولة ،
- التربية الدينية الصارمة جدا .

- غياب الأم لأي سبب كان قبل عمر الخامس سنوات يعتبر أكثر العوامل أهمية في زيادة حدوث الاضطراب النفسي عند الطفل .
- الأم المكتتبة كونها لا تتوافق ولا تتكلم ولا تعتنى ولا تشجع طفلاًها بسبب وضعها النفسي تزيد أيضاً احتمال حدوث الخلل النفسي عند الطفل .

• مثلاً تعرض الإنسان خلال الطفولة للعنف الجسدي أو مشاهدته للعنف الجسدي في المنزل بسبب الخلافات والمشاحنات الأسرية يؤدي في الكبر إلى اضطرابات نفسية كأن يصبح هو نفسه عنيفاً ومعادي للمجتمع وسادي أو على العكس ذو شخصية خجولة اجتماعية فاقدة للثقة بالنفس وتشعر بالدونية .

• كذلك ، ففرط الحماية للطفل من قبل الأهل ، وخاصة إذا كان هذا الطفل مصاباً بمرض أو عاهة ما ، ومنعه من الالتحاق بالآخرين أو الذهاب في نزهات مدرسية خوفاً عليه سوف يؤدي في الكبر إلى نشوئه ضعيف الشخصية قليل الخبرة معتمداً على الغير .

• تعرض الطفل للاعتداء والتحرش الجنسي و خاصة لفترة طويلة يسبب في الكبر اضطرابات جنسية لديه بكافة أشكالها ، مشاعر اكتئابية ، أفكار انتحارية بسبب كرهه لنفسه وجسده .

• الأسرة كثيرة العدد عادةً ما تنقص فيها الرقابة و المتابعة للأبناء مما قد يكون سبباً في تراجع مستواهم الدراسي أو انحرافهم دون الانتباه لهم من قبل الأهل .

• الدلال الزائد المترافق بالتلبية الفورية ل حاجيات وطلبات الطفل ينشأ في الكبر شخصية اعتمادية اتكالية لا تطيق الصبر ولا تتحمل الإحباط وتريد تلبية حاجاتها بدون انتظار لأنها لم تتعود على كلمة لا من الآخرين .

2. الشدات النفسية في مراحل الحياة التالية للطفولة :

- الفقر : المرض النفسي أعلى نسبة في الفقراء من الأغنياء أو متوسطي الدخل . الفقراء يجب عليهم التعامل مع الرضوض المادية كالبطالة وتأمين البيت المناسب للسكن وانتشار الإدمان والمرض والجهل وكثرة عدد الأفراد في المنزل وغيرها كثير من التفاصيل .

- وفاة شخص عزيز و خاصة أحد الأبناء
- التعرض للحروب و الكوارث الطبيعية
- الطلاق أو الترمل
- الاصابة بمرض جهازي
- الاصابة بعاهة جسدية

• بعض المجتمعات :
الاضطرابات النفسية أكثر حدوثاً في المهاجرين
وفي الأقليات العرقية والدينية . السبب هو انتشار
الفقر بكل مساوئه في هذه المجتمعات والعزلة
الاجتماعية التي يعيشونها و تعرضهم للتمييز
العنصري .

ثالثاً. العوامل النفسية والشخصية

- يقصد بالعامل النفسي الطبيعة الشخصية لكل فرد و مدى قدرة هذا الفرد على التعامل مع صعوبات الحياة . فمثلاً نجد بعض الأشخاص يصابون بالانهيار في مواجهة موقف ما في حياتهم بينما نفس الموقف قد لا يحرك ساكناً في آخرين .

- ارتكاسات الأفراد المختلفة تجاه صعوبات الحياة سببها الطبيعة الفريدة للفرد التي تميز شخصاً عن آخر . يتعلّق ذلك بـ :
- نمط تفكير الشخص ،
- وقدرته على التأقلم ،
- ونظرته لنفسه , self esteem

- وقوفه الأندازية ،
- وجود دعم من المجتمع له ،
- والمصاعب التي واجهها في حياته ، فكلما زادت هذه المصاعب وتراءكت كلما نقصت مع الوقت قدرته على التأقلم وزادت امكانية تعرضه لاضطراب نفسي

نظريات المرض النفسي

- بعض النظريات تعطي العامل الجيني 40 بالمائة من استعداد الفرد للمرض النفسي و 60 بالمائة للعوامل النفسية والبيئية . تسمى هذه النظريات bio psycho social :
الحقيقة أن هذه النظرية لها تطبيق مفيد في الأمراض الجسدية أيضا وليس كتفسير للمرض النفسي فقط .

مثلاً مريض مصاب بالسرطان أو السكري أو الایذز أو أي مرض جهازي آخر : إذا تعاملنا معه بشكل بيولوجي بحت دون اعتبارات للأبعاد الأخرى النفسية والبيئية فإننا نخسر مكونات هامة تساعد في السيطرة على مرضه الجسدي وضبطه .

بالتالي فان أخذ الأبعاد الثلاثة بعين الاعتبار سوف يحسن بالتأكيد من إنذار المرض ويحسن من نمط ونوعية حياة المريض . وكأننا هنا نطبق القاعدة الطبية الذهبية : العقل السليم في الجسم السليم وكذلك الجسم السليم يحتاج لعقل سليم .

الاهتمام بالعوامل النفسية للمريض يجعله أكثر التزاماً بتناول الأدوية وإجراء الاستقصاءات الازمة واتباع الحمية الموصوفة والقيام بالفعاليات الرياضية والفيزيائية المطلوبة منه

• النظريات التحليلية تقول أن سبب المرض النفسي هو الصراعات النفسية الداخلية التي لم يستطع الفرد أن يجد لها حلاً، وتنبيه fixation في مرحلة من المراحل الفرويدية الخمس لتطور الشخصية.

• فإذا ثبتت في الفموية أصبح اعتمادياً فاقداً
للاستقلالية سريع الغضب لا يطيق الإحباط ولا
يطيق الانتظار والصبر وقد يتطور إلى شخصية
ادمانية أو معادية للمجتمع ،

- وإذا ثبت في الشرجية أصبح وسوسياً عنيداً متصلباً مترددًا في اتخاذ القرارات
- وإذا بقي أسير مركب أوديب ولم يستطع الخروج منه بسلام فقد تتطور لديه شخصية هستيرياوية أو حدية وقد تتطور لديه اضطرابات جنسية في الكبر

• نظرية التعلق : attachment
وتقول أن طبيعة العلاقة بين الطفل والقائم على رعايته في السنوات الأولى من العمر هي المحدد الرئيسي لظهور أو عدم ظهور المرض النفسي. فإذا قامت هذه العلاقة على مبدأ التعلق الآمن أي شعور الطفل بالاستقرار وبأن الذي يرعاه لن يفارقه وسيبقى بجنبه فسوف تكون شخصيته

عند الكبر متوازنة وقليلة التعرض للاضطراب النفسي .

وبالعكس ، فنمط التعلق غير الآمن وغير المستقر والمترافق دوماً بتهديدات واحتمالات لتركه والتخلي عنه سوف تنتج في الكبر شخصية مضطربة غير متوازنة وأكثر عرضة للإصابة بالخلل النفسي .

شكراً لـاصغاركم